طارئة فأصدرت القرار رقم (ES-10/14) الذي طلب من محكمة العدل الدولية في لاهاي رأياً استشارياً فيما يخص شرعية إقامة الجدار. بدأت المحكمة مداولاتها في ٢٤ شباط لكن إسرائيل قاطعت جلساتها رغم أنها قدمت مذكرة موجزة مفادها أن على المحكمة عدم إصدار حكم في هذه القضية. وقد قدم نحو ٣٠ بلداً آخر، من بينها الولايات المتحدة وعدة دول أوروبية، مذكرات تقول إن على المحكمة عدم إصدار حكم بأن المسألة سياسية لا قانونية؛ ولذلك امتنعت هذه الدول كلها عن حضور الجلسات. على أن أكثر هذه الدول انتقدت الجدار باعتباره غير شرعي أو باعتباره عقبة في وجه مفاوضات السلام. قامت جماعات إسرائيلية وصهيونية بتنظيم مظاهرات في لاهاي، ونظم الفلسطينيون مظاهرات مضادة. جلب الإسرائيليون حافلة تعرضت للتفجير وقالوا إن الجدار يمنع الهجمات الانتحارية. أما الفلسطينيون فاستخدموا الجلسات منبراً من أجل نزع الشرعية عن الاحتلال. وفي ٩ تموز خرجت محكمة العدل الدولية برأي استشاري فيما يخص السياج الأمني الإسرائيلي. قررت المحكمة أن هذا السياج ينتهك حقوق الإنسان وأن على إسرائيل تفكيكه. أعلنت إسرائيل عدم التزامها بقرار المحكمة لكنها أدخلت تغييرات على مسار الجدار نزولاً عند قرار المحكمة الإسرائيلية العليا.

فضيحة الفساد الإسرائيلية

منذ انتخاب آريل شارون في عام ٢٠٠٣ حامت حوله الشكوك كما حامت حول عدد من أعضاء حزب الليكود بسبب مزاعم بالرشوة والعلاقة مع عصابات إجرامية. وفي كانون الثاني ٢٠٠٣ أدين دافيد آبيل بتهمة الرشوة، وقد كان أحد أقرب مساعدي آريل شارون. وقالت لائحة الاتهام إنه قدم الرشوة إلى شارون وابنه وإلى نائب رئيس الوزراء إيهود أولمرت. وكان السؤال الواضح هو: هل سيدان آريل شارون أم لا؟

جدل بشأن تبادل السجناء

بعد شهور طويلة من المفاوضات من خلال وساطة ألمانية، اتفق كل من إسرائيل وحزب الله اللبناني على تبادل للسجناء وفق شروط من جانب واحد، وذلك في ٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٤. أطلقت إسرائيل سراح أكثر من ٤٠٠ سجين فلسطيني ولبناني أحياء، وأعادت عدداً كبيراً من الجثامين مقابل جثامين ثلاثة جنود إسرائيليين اختطفهم

حزب الله وقتلهم وجثمان مدني واحد هو ضابط الاحتياط الحنان تانباوم الذي كان "رجل أعمال" مريب كذب بشأن كيفية اختطافه وقدم لحزب الله دعاية مجانية عبر تلفزيون المنار.

اغتيال الشيخ أحمد ياسين

كانت إسرائيل تستهدف زعيم حركة حماس الشيخ أحمد ياسين منذ شهور كثيرة بغية اغتياله. وفي أعقاب هجوم انتحاري في ميناء أشدود صعّد جيش الدفاع الإسرائيلي عملياته ضد الإسلاميين في غزة وأعلن من جديد أن قادة حماس مستهدفون بالاغتيال. وفي ٢٢ آذار أكدت معلومات استخباراتية إسرائيلية أن أحمد ياسين (مؤسس حركة حماس الإسلامية وزعيمها) ذهب إلى الصلاة من غير زوجته وأطفاله فأعطي الضوء الأخضر لاغتياله. لقد أدى اغتيال هذا الرجل العجوز المقعد إلى احتجاجات في معظم أنحاء العالم وإلى تعهد حركة حماس بالثأر له. لعل القيمة الاستراتيجية لاغتياله كانت قليلة؛ ولعله اغتيل من أجل تعزيز شعبية آريل شارون المتراجعة.

خطة فك الارتباط وخطاب الضمانات من جورج بوش

كان ثمة اقتراح من حزب العمل الإسرائيلي بقيادة عاميرام ميتزنا خلال الحملة الانتخابية لعام ٢٠٠٣ مفاده أن على إسرائيل أن تنسحب من جانب واحد من قطاع غزة وربما من بعض أجزاء الضفة الغربية وأن تواصل حياتها خلف الجدار الفاصل إذا فشلت المفاوضات مع الفلسطينيين. رفض شارون وحزبه هذا الاقتراح باعتباره انهزامياً. لكن شارون نفسه أعلن قبيل نهاية عام ٢٠٠٣ أنه يخطط للانسحاب من جانب واحد يجري خلال ستة أشهر (تم تأجيل هذا التاريخ فيما بعد). جوبهت خطة الانسحاب من كامل قطاع غزة بمعارضة شديدة من زملاء شارون في حزب الليكود ومن المستوطنين أيضاً. وقد أشارت التقارير في أواخر شهر شباط إلى أن إسرائيل مازالت تواصل مصادرة الأراضي وبناء الحواجز الأمنية من أجل مستوطني غزة رغم ما قيل عن أن شارون قرر إخلاء المستوطنات. وفي نيسان ٢٠٠٤ سافر شارون إلى الولايات المتحدة واجتمع في ١٤ نيسان مع الرئيس الأمريكي جورج بوش من أجل الحصول على مساندة وضمانات أمريكية من أجل خطة فك الارتباط من جانب واحد التي طرحها شارون. قدم بوش له خطاباً ينص على أن الولايات المتحدة تقبل هذه الخطة وأن خطة الطريق تظل هي خطة السلام الوحيدة التي تؤيدها الولايات المتحدة. وحتى يكسب شارون شعبية لصالح هذه الخطة في